مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

تسليم حجاجيّ

تِقَنِيَّاتُ الْحِجَاْجِ عِنْدَ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ مَهْدِيِّ الخَرْسَانِ قِرَاْءَةٌ فِي كِتَابِهِ "السُّجُوْدُ عَلَى التُّرْبَةِ الحُسَيْنِيَّةِ"

حيدر فاضل عبَّاس [1]

١ المديريَّة العامَّة للتربية / محافظة كربلاء، العراق؛

h07734546639@gmail.com

دكتوراه في اللُّغة العربيَّة / مدرِّس

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٣/٥/٢٢	٢٠٢٣/٨/١٠	٢٠٢٤/٦/٣٠

DOI: 10.55568/t.v18i30.171-201

المجلــد (١٨) العــدد (٣٠)
ذو الحجة ١٤٤٥هـ . حزيران ٢٠٢٤م

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث:

يسلّط هذا البحث الضوء على التقنيّات التي اتَّبعها السيد مُحَمَّد مهدي الخرسان في كتابه "السجود على التربة الحسينيّة"؛ إذ اتَّخذ جملة من الحجج والبراهين التي تنوّعت على وفق تنوّع الأدلَّة بين عقليّة وحديثيّة وغيرها ، بعد أن قدّم عددًا من المقدّمات الحجاجيّة؛ علمًا أنَّه استند إلى كتب المخالفين في -معظم الأحيان- عند توثيق الأقوال والآراء التي وظّفها بوصفها أدلّة، وخلُص إلى أمور أهمّها أنَّ الاختلاف ناشئ من تعدُّد القراءات للنصوص الشرعيّة.

الكلمات المفتاحيَّة: السيّد مُحَمَّد مهدي الخرسان، كتاب "السجود على التربة الحسينيّة.

Argumentation Techniques of Muhammad Mahdi Al-Khurasan (Reading on His "Prostration on the Husseinian Turbah")

Haider Fadhil Abbas [1]

1 General Directorate of Education Karbala, Iraq;

h07734546639@gmail.com

PhD. in Arabic Language/ Lecturer

Received:	Accepted:	Published:
22/5/2023	10/8/2023	30/6/2024

DOI: 10.55568/t.v18i30.171-201

Volume (**18**) Dhu al-Hijjah 1445 AH.
Issue (**30**) June 2024

Abstract:

This study sheds light on the methods employed by Sayyid Muhammad Mahdi al-Khirsan in his work "Prostrating on the Hussaini Turbah*". He employed a range of arguments and evidence, including rational and hadith-based proofs, among others, after laying out several initial arguments. It is worth noting that he frequently drew on the writings of dissidents (non-Shia) when documenting the statements and opinions he used as evidence, and he ultimately concluded that the disagreement arises from the differing interpretations of religious texts.

Keywords: Sayyid Muhammad Mahdi al-Khirsan, Prostrating on the Hussaini Turbah.

* It is a small piece of soil or clay, often a clay tablet, used during salat to symbolize earth. Using it is recommended according to the Twelver Shia school of Islam.

المقدّمة

يمثّل الجهد العلميّ لعلمائنا الأعلام نقطةً مضيئةً في المسيرة العلم، ومحطَّة هداية، وسبيل نجاة، إذ إنَّ مدادهم باحثة عن الحقائق، ساعية إلى استحصال الأدلَّة المؤدّية إلى إصدار الأحكام الشرعيّة، والدفاع عن المعتقدات، وكلّ ذلك يدعو إلى ضبط الأدوات السابرة لنصوص الشريعة، وإنعام النظر؛ فنراهم يخوضون في اتجاهات العلوم المتنوّعة.

السيّد مُحَمَّد مهدي الخرسان * من علماء النجف الأشرف الذي مازال حيًّا؛ وُلِدَ سنة ١٩٢٨م الموافق ١٣٤٧هـ، وهو من المؤرّخين والباحثين في الميادين التي أُثيرت حول موضوعاتها خلافات، فله موسوعة عبد الله بن عبَّاس، وهو من الكتب القيّمة الباحثة في حقيقة شخصيّة عبد الله بن عبَّاس، عبر استقراء تاريخيّ وحديثيّ، وله بحث في مسألة السجود على التربة الحسينيّة وما دار فيها وحولها من إشكالات طُرِحت من المخالفين، فكتب (السجود على التربة الحسينية) مناقشًا أدلّة المعترضين، ومتَّخِذًا من تقنيَّات متعدّدة أدوات لإماطة اللثام عن حقيقة هذه المسألة، وكشف عمقها الشرعيّ، وأُسُسها التي انبنت عليها، وإخضاعها للبحث العلميّ الرصين؛ سعيًا منه لتصحيح الفهم الخاطئ، وتوحيد الصفوف.

فجاء البحث متضمِّنا تمهيدًا ومبحثين وخاتمة؛ أمّا التمهيد فقد كشف التأسيس القرآنيّ-المعرفيّ للحجاج، بوصفه حقيقة حاضرة نابعة من فطرة الاختلاف التي خلق الله تعالى عليها الخلق، وتكفَّل المبحث الأوَّل النظر في الجانب النظريّ للحجاج ومفهوم التقنيّات، وخُصِّص المبحث الثاني إلى الجانب التطبيقيّ، والنظر في التقنيّات التي اتَّبعها السيد الخرسان في حجاجه الآخرين، وقد فرضت طبيعة البحث أن يكون المبحث الثاني أكثر طولًا من المبحث الأوَّل؛ إذ إنَّه يمثّل المبحث الرئيس في البحث، ثُمَّ الخاتمة لأهمّ ما توصّل إليه البحث.

---

* ترجم السيد الخرسان نفسه في سطور، ممّا جاء فيها: أنا مُحَمَّد مهدي السيّد حسن الموسوي الخرسان، وُلدت في النجف الأشرف في ٩/ رجب سنة ١٣٤٧هـ كما سمعته من المرحوم السيّد الوالد...أدخلتُ الكتّاب وأنا قد تعلّمت القراءة قبل ذلك عند الوالدة رحمها الله، واستدارت أيّام التعليم على عدّة كتاتيب بمثابة النجاح من صفٍ إلى صف، وأخيرًا في مندى النشر، وإلى جانب مناهجها كانت الدراسة الحوزويّة التقليدية، وسرت فيها من السطوح وحتّى الخارج. تُنظر ترجمته كاملة في :
http://www.alkharsan.net/?id=1.

تمهيد:

التأصيل القرآنيّ - المعرفيّ لموضوع الحجاج:

الاختلاف من الأمور التي فطر الله –تعالى- عليها الناس، وجعلهم مختلفين ظاهرًا وباطنًا؛ شكلًا ومضمونًا؛ إذ قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ (يونس٦)، و قوله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات١٣) ، وزوّد الناس بالقوَّة العاقلة التي بها يستطيعون الانسجام والتآلف على الرغم من وجود الاختلافات، وأمرنا ربُّنا -جلّ وعلا- بأن نَجنحَ إلى المشتركات في التعامل، ونحاجّ مواطن الاختلافات بإحسان، ونحاور؛ بحثًا عن الحقيقة، وندعو إلى ما نعتقد به بحكمة ورويّة، وهذا الأمر جليٌّ في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل١٢٥)، فهذا المنطق القرآنيّ فيه دعوة إلى نبذ العنف، وترك الاضطهاد، والتوجّه نحو الحجاج المستند إلى الحجج والبراهين، وتقديمها لغرض الإقناع.

فالجدال والحجاج من المصطلحات ذات التأريخ القديم، وبُذِلت فيها مداد كثيرة، وتعدّدت زوايا النظر لها، وكثرت تقسيماتها بين المنطق والفلسفة واللُّغة، وفي القرن العشرين نضجت الدراسات اللِّسانيَّة التي تتبنّى نظريَّة الحجاج، و جُعِل التأثير سمة أصيلة من سمات اللُّغة، ووظيفة مركزيّة تُضاف على وظائفها الأُخر، إذ يقول ديكرو: "(إنّنا نتكلّم بقصد التأثير) هذه النظريَّة تريد أن تبيّن أنَّ اللُّغة تحمل بصفة ذاتيّة وجوهريّة وظيفة حجاجيّة"[١]؛ فالتأثير يمكن أن يكون ههنا دافعًا قويًّا ومثيرًا ناجعًا يحدو بنا نحو الكلام، وإنشاء النصوص، وهو أمر يتماشى إلى حدٍ ما مع النظريَّة السلوكيَّة التي تُخضع اللُّغة لتأثيرات ثنائيَّة (المثير والاستجابة)؛ " فاللُّغة عند بلومفيلد وأتباعه من السلوكيين ما هي إلّا مظهرٌ من مظاهر السلوك الإنسانيّ الآليّ الخاضع لقانون المثير والاستجابة ... وأنَّ اللُّغة

١ العزاوي، أبوبكر. اللغة والحجاج، ط١ (الدار البيضاء – المغرب: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦)، ١٤.

ليست إلّا نوعًا من الاستجابات الصوتيَّة لحدثٍ معيَّن"[٢]، وهذه الاستجابات الصوتيَّة لابدَّ أن تستند إلى عمق معرفيّ متراكم في الذهن يفرض قوّته على مسارات الإنتاج اللُّغويّ، على مستوى الشكل والمضمون، فتكون الحمولات الدلاليَّة للألفاظ حمولات حجاجيَّة ساعية إلى التأثير وإقناع المخاطَب، وبموجب هذا يكون الحجاج موجودًا بوجود اللُّغة، وهو وظيفتها الأولى[٣]، فضلًا عن الوظيفة التواصليّة التي يتسرّب لها النَّفس الحجاجيّ أيضًا؛ إذ " لا تواصل باللِّسان من غير حجاج، ولا حجاج بغير تواصل"[٤ ٥]، وما دام الحجاج ملازمًا للغة، واللُّغة أداة التواصل في ميادين الحياة كافّة فلا بدَّ من أن يشمل الحجاج تلك الميادين وفي جميع المستويات التخصصيّة وغيرها[٦].

فالحجاج قائم على أساس التأثير المؤدِّي إلى الإقناع أو الاقتناع من دون الإكراه، وهو وسيلة لا عنفيَّة لتصدير الأفكار والمعتقدات من دون المساس بكرامة الإنسان أو تعريضه لأذًى مهما كان نوعه ومستواه، فـ "عندما يطالب المحاور غيره بمشاركته اعتقاداته فإنَّ مطالبته لا تكتسي صيغة الإكراه، ولا تدرج على منهج القمع، وإنّما تتبع في سبيل تحصيل غرضها سُبلًا استدلاليّة متنوّعة تجرّ الغير جرًّا إلى الاقتناع برأي المحاور"[٧]، وهذا المسلك قد تبنّاه الخطاب القرآني حين قال : ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

المبحث الأوَّل : الحجاج: التعريف والتِّقنيَّات

مفهوم الحجاج وتعريفه:

للحجاج مفهوم واسع يمتدّ ليضمَّ مجموعةً من المصطلحات ذات الدلالات الحافّة بمفهوم الحجاج وتأطيره العلميّ في اللِّسانيّات الحديثة، ومن هذه المصطلحات (الجدال، والحوار، والمناظرة، والبرهنة ، والاستدلال)[٨]؛ فهذه المصطلحات وغيرها تتقاطع ودلالة الحجاج؛ إذ

٢ العصيلي، عبد العزيز. "النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة،" مجلّة جامعة الإمام، عدد٢٢ (١٤١٩هـ): ٣٢٨.
٣ الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ط١ (ليبيا: دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠٠٤)، ٤٧٣_ ٤٧٤.
٤ عبدالرحمن، طه. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط١ (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨)، ٢٥٤.
٥ طه، عبدالرحمن التواصل والحجاج، د.ط (الرباط: مطبعة المعارف، سلسلة الدروس الافتتاحيّة، الدرس العاشر، د.ت.)، ٥.
٦ الزماني، كمال."الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب (مصنف الحجاج) لبيرلمان وتيتكا،" مجلّة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد١١، المجلد٢. ١١٧: (٢٠٢٠).
٧ عبدالرحمن، طه. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٢ (المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠)، ٣٨.
٨ الذريدي، سامية . الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ط١ (الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١)، ١٨_ ١٩.

إنَّها جميعًا تتخذ من الإقناع مسعًى يُرام تحقيقه، وهدفًا يتغيّاه كلٌّ من طرفي الخطاب-الباثُّ والمستقبِل- وميدانهم التباري في الخطاب، وتضمينه الحجج المبرهِنة على صحَّة ما يتبنّاه كلٌّ منهم، فالحجاج " حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة؛ من أجل حصول التسليم برأي الآخر بعيدًا عن الاعتباطيَّة واللامعقول... و بعيدًا عن الإلزام والاضطرار اللذَين يطبعان الجدل"[٩].

نُظِر إلى الحجاج من زوايا نظر متعدّدة دعت إلى تعدّد تعريفاته، وعلى الرغم من أنَّ معناه العُرفي يكاد يكون واضحًا ومقتصرًا على ركنين؛ هما الحجَّة والنتيجة، إلَّا أنَّ تأطيره العلميّ شابَهُ نوع من التعقيد نتيجة التوسُّع في تفصيلاته، ومحاولة كلّ باحث أن يسلك طريقًا ومسلكًا خيطيًّا يختطّه لنفسه؛ لفصل الحجاج عن المصطلحات المتقاطعة معه، ممَّا جعل بعض الأحكام التي تُطلق على تحديدات تعريفيّة للحجاج يصيبها داء التمحّل من وجهة نظريّ؛ إذ يقسّم ريبول موشلار تعريفات الحجاج على صنفين؛ أوّلهما أطلق عليه مصطلح (الحجاج العادي) ويعني به " مجموعة الخطط الخطابيَّة المستعملة من قبل المخاطب لإقناع جمهوره ومتقبّله"[١٠]، وفي الصنف الآخر اعتمد مفهوم انسكومبر وديكرو للحجاج إذ قالا: " المتكلّم حينما يحاجج إنَّما يقدِّم قولًا أوّلًا (ق ١) أو مجموعة من الأقوال يكون فيها الانطلاق، وتكون بمثابة المعطى أو الحجّة التي تقود إلى الاقتناع أو الإذعان التي تقود إلى الاقتناع أو الإذعان والتسليم بقول آخر(ق ٢) الذي يمثّل النتيجة"[١١ ١٢].

فالمدقِّق في الصِّنفَين ولا سيَّما الأوَّل منهما لا يجد ما يسوّغ فصله عن الصنف الثاني سوى أنَّه عامّ ويتحدَّث بنظرة إجماليَّة، أمَّا الصنف الثاني ففيه سبْرٌ للتفاصيل، وهذا الأمر لا يمنع أن تكون (الخطط الخطابيَّة) في الصنف الأوَّل متضمِّنة للتفاصيل في الصنف الثاني، بل لعلَّها تتضمَّن ما هو أكثر؛ لذا لا أجد مسوِّغًا للفصل بين التعريفين؛ بل هما متّحدان في المفهوم، مفترقان في زوايا التناول من جهتي العموم والخصوص.

٩ صولة، عبد الله. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ط١ (تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ١٢.
١٠ الناجح، عز الدين. العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ط١ (صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ٢٦.
١١ الناجح، ٢٧.
١٢ مُحَمَّد، محمود حمزة. "تقنيات الحجاج في كتاب ' حوار مع صديقي الملحد للدكتور مصطفى محمود،" مجلّة كليّة الآداب للغويّات والثقافة المقارنة، العدد٢، المجلد١٢، ٢٧ : (٢٠٢٠)

ومـن التعريفـات المذكـورة للحجـاج بأنَّـه " تقديـم الحجـج والأدلّـة المؤدِّيـة إلى نتيجـة معينـة، وهـو يتمثّـل في إنجـاز تسلسـلات اسـتنتاجيّة داخـل الخطـاب، وبعبـارة أخـرى يتمثّـل الحجـاج في إنجـاز متواليـات مـن الأقـوال بعضهـا بمثابـة الحجـج اللُّغويَّـة، وبعضهـا الآخـر بمثابـة النتائـج التـي تُسـتنتَج منهـا"[١٣].

فاللُّغـة بوصفهـا الوسـط الناقـل، وأداة التواصـل والتأثـير يسـعى بهـا المتكلّـم إلى تكويـن خطابـات متعـدّدة الغايـات، منهـا الخطـاب الإقناعـي الـذي يُقصـد بـه إحـداث تغيـير في قناعـات فـرد أو مجتمـع بـإزاء أفـكار أو معتقـدات أو أعـراف مـا، فميـدان الخطـاب الإقناعـي الرئيـس قائـمٌ عـلى دحـض الموجـود وعـرض البديـل والبرهنـة عليـه، عـبر تحقيـق فَهْـم أفضـل للنصـوص وتفسـيراتها، ومـا يترتَّـب عـلى ذلـك مـن سـلوكيّات؛ فيكـون تقديـم الحجّـة والبرهـان مـن الأدوات الناجعـة في هـذا المجـال، فـ" عندئـذٍ يتوجّـه الحجـاج رأسًـا إلى مَلَكـة البرهنـة في المحادِث(طاقـة التفكـير والفهـم)، ولـو كان ذلـك للوصـول إلى النتيجـة نفسـها، فالفاعـل المحاجِـج يمـرُّ عـبر التعبـير عـن قناعـة أو أمـر يسـتدعي التفسـير يسـعى مـن جانبـه إلى نقلـه إلى المحـادِث قصـد إقناعـه ومـن ثُـمَّ تغيـير سـلوكه"[١٤].

فالخطابـات تتعـدّد بتعـدّد مقاصدهـا، إلّا أنَّ سـمة التأثـير تبقـى هـي الخيـط الرابـط بـين أنواعهـا، والجامعـة لشـتاتها، فمـن المقاصـد المحـدِّدة لنـوع الخطـاب؛ الخطابـات الحجاجيَّـة التـي يكـون التركيـز فيهـا مبنيًّـا عـلى الوظيفـة الحجاجيّـة، عـلى وفـق نظريَـة المثير والاسـتجابة، إذ ينطلـق الخطـاب مـن نقطـة خـلاف بـين توجُّهَـين أو فهمَـين لنـصٍّ مـا، فيتكـوّن الخطـاب ويكتسـب سـمته الخطابيَّـة ممَّـا " يقـوم بـه مـن وظائـف، وأنَّ نسـيجه الوظيفـيّ يتمحـور حـول الوظيفـة الحجاجيَّـة كوظيفـةٍ أسـاس مسـؤولة عـن توليـد الفعـل الخطـابيّ؛ فـلا خطـاب مـن دون وظيفـة، ولا وظيفـة مـن دون حجـاج"[١٥].

---

١٣ العزاوي، اللغة والحجاج، ١٦.

١٤ شارودو، باتريك. الحجاج بين النظرية والأسلوب "عن كتاب نحو المعنى والمبنى،" ترجمة الودرني. أحمد، ط١ (بنغازي: دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠٠٩)، ١٤.

١٥ طروس، مُحَمَّد. النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة، ط١ (الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥)، ٥.

ومن الباحثين من تجاوز مسألة الحجّة والنتيجة، وجعل هذين المفهومَين من المسلَّمات، ونُظِر إلى الكيفيّة التي ينبني فيها الخطاب الحجاجيّ، وآليَّة تحرّك الحجج بداخله، ومسارات ورودها وصولًا إلى تلك المسلَّمات، وتُقاس مدى فاعليَّة ذلك الخطاب بتحقُّق نتائجه الإقناعيَّة؛ فعُرِّف بأنَّه: " دراسة تقنيَّات الخطاب التي من شأنها أن تؤدِّي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[١٦].

تقنيَّات الخطاب الحجاجيّ:

من طبيعة العلوم أنَّها ذات طبيعة تراكميَّة في الذهن، فالتجارب التي يعيشها الإنسان في حياته، وكذلك الاطِّلاع عبر القراءة، والبحث والدراسة تضيف معارف جديدة أو تعمّق إدراك مفاهيم سابقة، ويتكئ الفرد إلى ذلك الرصيد المعرفيّ المركوم في الذهن عند تكوينه للخطابات على وفق أسيقتها القوليَّة والموقفيَّة.

ويمكن أن نرصد تفاوتًا كبيرًا بين الخطابات من شخص إلى آخر، وفي المواقف المتعدّدة، ومنشأ هذا التفاوت يعود إلى قدرة منشئ النصّ وخبرته في إيراد الأفكار وتنظيمها بدءًا بالمقدِّمات وانتهاءً بالخاتمات، وهذا التفنُّن في سَوق الأفكار وتحميلها الصياغات المناسبة يدعى (التقنيّات)، وتُعدّ التقنيّات من أهمِّ أدوات المحاجّ التي يوظِّفها " في سياق من أسيقة الاستدلال والبرهان أو التبكيت والدحض(قلب النظريَّة الحجاجيّة) ومدخلًا من مداخل استحصال (الميكانيكا الحجاجيَّة) التي وفقًا لها تدور دواليب الخطاب، وتتحرّك أسرار الكون"[١٧]، فمجرّد وجود الأفكار في النصّ، ومخاطبة آخرين بها لا تعطيه الفاعليّة، ولا تُحقّق الأهداف، ولكن المهارة في ترتيب هذه الأفكار، وتنظيمها تنظيمًا مناسبًا للسياق يعطيها قوَّة التأثير، ومن ثُمَّ الإذعان[١٨]؛ فالتقنيات " تعني التطبيقات العلميّة للعلم والمعرفة في جميع المجالات التي يعيشها المجتمع... وبعبارة أخرى: تدلُّ على الطرق التي يستخدمها الناس في اختراعاتهم واكتشافاتهم لتلبية حاجاتهم"[١٩]؛ فوجود الموارد والأفكار، وتوافر الأدلَّة شيءٌ، وإدارتها وسبكها والتفنُّن في إيرادها داخل الخطاب شيءٌ آخر؛ لا يقلّ أهمِّيَّة عن الوجود الأوَّل.

١٦ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ١٢.

١٧ الشبعان، علي. الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثّلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ط١ (بيروت: دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ٢٠١٠)، ١٩.

١٨ صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، ط١ (بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠١)، ٨.

١٩ خضر، حيدر. "مفهوم التقنية ودلالة المصطلح ومعانيه واستخدامه،" مجلّة الاستغراب، العدد١ : (٢٠١٩) ٢٨٥

وقد وضع المفكِّرون والمنظِّرون لموضوع الحجاج جملة التنظيرات التي هُدوا إليها عبر استقراء الخطابات الحجاجيَّة، وقد توصّلوا إلى أنَّ الخطاب الحجاجيّ فيه مستويان من التوجيه؛ أوَّلهما أطلقوا عليه الحجاج الإقناعيّ، وهو خطاب يرمي إلى إقناع جمهور خاصّ، وثانيهما الحجاج الاقتناعيّ، وهو حجاج يرمي إلى أن يسلّم به كلّ ذي عقل؛ فهو عامّ[٢٠]، وقد يكون الخطاب موجَّهًا إلى الذات، وهو أقرب ما يكون إلى المونولوج الداخلي في مخاطبة النفس؛ لتعضيد رأي أو دحض فكرة ما، وإقناع النفس بها[٢١].

ولا بدَّ من أن ينطلق الخطاب الحجاجيّ من مقدِّمات؛ قد تكون واقعيّة وقد تكون افتراضيَّة مبنية على الواقع، أو متضمِّنة لقِيَمٍ لها سلطتها وتأثيرها على المتلقّي[٢٢] ومنها يُنتَقل إلى صوغ الحجج والبراهين التي قسَّمها المفكِّرون على قسمين:

أوَّلهما: الحجج الاتِّصاليَّة التي تقرّب بين العناصر المتباينة، ومن أشكالها: الحجج الشبه منطقيَّة، والحجج المؤسّسة على بنية الواقع، والحجج المؤسّسة لبنية الواقع.

وثانيهما: الحجج الانفصاليَّة الساعية إلى إحداث القطيعة وإفساد اللُّحمة الموجودة بين عناصر تشكّل عادة كلًّا لا يتجزّأ في نطاق فكريّ واحد، ووفْق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكوّنة بحمل أعراضه على جوهره، ومحاكمة ظاهره في ضوء حقيقته[٢٣].

وعلى الرغم من هذه التقسيمات القالبيّة إلّا أنّنا نجد لكلِّ محاجٍّ خطّة وخطوات يسير على وفقها، وتؤثِّر في صياغتها مجموعة من العوامل؛ أهمّها الأساس المعرفيّ- الثقافي الذي نشأ عليه المحاجُّ، وطبيعة الموضوع وتفصيلاته، والسياق الذي يرد فيه الحجاج، والمتلقّي سواء أكان جمهورًا عامًّا أم خاصًّا، ولذلك سأنظر في الجانب التطبيقيّ لما أورده السيّد الخرسان في حجاجه لقضيّة تتعلّق بجانبي الفقه والعقائد؛ وأسّها حديثيّ، وهي قضية السجود على التربة الحسينيّة وما أحاطها من إشكالات، فبحْث السيد الخرسان منطلقًا من الجذور الأساس،

٢٠ فريق البحث في البلاغة والحجاج في جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة في كليّة الآداب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، إشراف. صعود، حمادي (تونس، د.ت.)، ٣٠١.

٢١ صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، ٢٦.

٢٢ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٢٩_ ٣٠.

٢٣ صولة، ٤١_ ٤٢.

مقدِّمًا جملة من الحجج والبراهين على صحّتها؛ محاججًا في الوقت ذاته الآخرين في كتاب مستقلٍّ وَسَمَهُ بـ (السجود على التربة الحسينيّة) وكان هذا الكتاب ذا أبعادٍ حجاجيّة، واستقراء واسعٍ لما يتعلّق بموضوع السجود وكيفيّته وأحكامه.

المبحث الثاني : تقنيّات الحجاج عن السيِّد الخرسان:

توطئة

كانت وما زالت مسألة السجود على التربة الحسينيّة مثار جدلٍ كبير بين المذاهب الإسلاميَّة والفرق والطوائف العقيديّة، وقد تناولها الباحثون بالدراسة والبحث والتقصّي في حقب زمنيَّة متعاقبة؛ سعيًا وراء الحقيقة، وطلبًا لتصحيح السلوك؛ وممّن ألّف في هذا الموضوع السيّد مُحَمَّد بن أحمد حسين المولود في ١٣١٠هـ تقريبًا[٢٤]، والسيّد عبد الحسين أميني الذي ألّف كتاب (السجود على التربة الحسينيّة عند الشيعة الإماميَّة) وقد ناقش جملة من الأدلّة في سبيل إثباتها[٢٥]، وكذلك تصدّى السيد مُحَمَّد مهدي الخرسان -أدامه الله- لمناقشة هذه المسألة، وكشف اللِّثام عن مباني الشيعة فيها، ومحاججة المخالفين فيها؛ إذ أخذت هذه المسألة أبعادًا عقيديّة استغلّها المتطرّفون من المخالفين في إلقاء التُهم التكفيريّة على أبناء المذهب الشيعيّ، وقد حدّد السيّد الخرسان الغرض الباعث على تصنيفه في هذا الموضوع بأنَّه يسعى إلى: " تصحيح فهم خاطئ عند كثير من إخواننا ممَّن يتحامل -جهلًا- على من يسجد على (التربة) أو (التربة الحسينيّة) كما يحلو تسميتها لدى الساجدين عليها، وقد يتجاوز بعض الجاهلين حدّه ... فيرمي مَن يسجد لله تعالى على التربة بالمروق عن الدين معتبرًا -لجهله طبعًا- أنَّ السجود على التربة هو عبادة لها، فيتطاول ظالمًا دون أن يفقه معنى السجود؛ فهو لا يفرّق بين معنى السجود على الشيء، وبين معنى السجود للشيء؛ إمّا لجهل مركّب لديه، أو لعناد نشأ وشبّ عليه"[٢٦].

فالموضوع الأساس محاججة طرف افتراضي، وآراء تنتمي إلى منظومة فكريَّة تسرّبت مقولاتها إلى عوامّ الناس؛ فأخذوا يتحدّثون بها من دون تفحّص وتدقيق نظر.

٢٤ حسن، مُحَمَّد. الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط١ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٣٠هـ)، ١٢/ ١٠٧.
٢٥ الأميني، عبد الحسين. السجود على التربة الحسينيّة عند الشيعة الإماميّة، د.ط (أصفهان: دار المحجّة البيضاء، ١٣٩٠هـ)، ١٣.
٢٦ الخرسان، مُحَمَّد مهدي. السجود على التربة الحسينيّة، ط١ (مكتبة الروضة الحسينيّة، ٢٠٠٥)، ٢١_ ٢٢.

التقنيَّات الحجاجيَّة:

من يدقِّق النظر في كتاب (السجود على التربة الحسينيّة) ويجيل نظره في الهيكل الحجاجي الذي سار عليه السيّد في تنظيمه ليجده قد وظّف تقنية المقدّمات الحجاجيَّة، ومنها التوجّه نحو الحجاج التفصيليّ للأدلَّة والبراهين التي يعتمدها الطرف الآخر في فهمه للسلوك الذي يسير عليه الشيعة في صلواتهم الواجبة والمستحبّة، ومن أهمِّ المقدِّمات الحجاجيَّة الآتي بيانه:

المقدِّمة الأولى: الوقائع:

تُعنى هذه المقدّمة برصد "ما هو مشترك بين عدّة أشخاص أو بين جميع الناس"[٢٧ ٢٨]، وينبئ عن هذه الحقيقة السلوك المنبني على أسس تنظيرية، أو نصوص حكميَّة أو عقيديَّة حاكمة على توجيه السلوك البشريّ لمجموعة أو فرد يؤمن بتلك التنظيرات، أو يعتقِد بتلك العقائد، وتتمثّل هذه المقدّمة بحقيقة أنَّ السجود على الأرض وما أنبتت من الأمور المفروغ منها، إلَّا أنَّ الاختلاف وقع فيما يصدق عليه هذا الفهم؛ فقال السيّد الخرسان في هذا المجال: " لقد ذكر فقهاء المسلمين –باتِّفاق جميع المذاهب الإسلاميَّة– أنَّ السجود في الصلاة يجب فيه وضع الجبهة على الأرض وما أنبتت، وإن اختلفوا في المراد بما أنبتت، وإن اختلفوا في مفهوم الأرض سعة وضيقًا، كما اختلفوا في المراد بما أنبتت"[٢٩].

المقدِّمة الثانية: الحقائق:

تمثّل الحقائق "أنظمة أكثر تعقيدًا من الوقائع، وتقوم على الربط بين الوقائع ومدارها على نظريَّات علميَّة أو مفاهيم فلسفيَّة أو دينيَّة"[٣٠]، فهذه المقدّمة تبحث بأدلّة الوقائع، وعللها التي دفعت إلى نشوئها، وما يتعلّق بها، إذ إنَّ البحث سيكون مرتكزًا على ما وراء الحقائق، ومدى الاتِّفاق على أدلَّتها، وتحديد مفهومها، ومن الحقائق الواضحة التي يرصدها السيّد الخرسان أنَّ مسألة الاختلاف والتباين في ما يُسجَد عليه غير مختصّة بالمذهب الشيعيّ، وليست مقتصرة عليه فقط، بل هي مسألة خلافيَّة متجذِّرة في الفكر الإسلاميّ بشتّى توجُّهاته ومذاهبه، وعلى

٢٧ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٢٤.
٢٨ الآداب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ٣٠٩.
٢٩ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ١٠٩.
٣٠ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٢٥.

مستويات متعدّدة؛ "فالخلاف لم يكن محصورًا بين المذهب الشيعيّ والمذهب السنّيّ فقط، بل هناك خلافات بين المذاهب الأربعة، بل بين متبنَّيات المذهب الواحد، مثل الاختلاف بين أبي حنيفة وتلميذه مُحَمَّد بن الحسن الشيبانيّ، وقد يُنقل عن إمام واحد أكثر من رأي في مسألة واحدة"[٣١].

المقدِّمة الثالثة: الافتراضات:

من المقدِّمات التي يبني عليها السيّد الخرسان الافتراضات التي لا تقلُّ أهمِّيَّتها عن أهمِّيَّة المقدِّمتَين السابقيَن، " ولكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويّين حتَّى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقوّيها"[٣٢]، ولَمّا ارتبطت هذه المقدّمة بالحجاج قوَّة وضعفًا فإنَّها تكون خاضعة لقيود السياق القولي والمقامي؛ وهذا يجعلها لا تتحلَّى بعنصر الثبات، بل هي متغيّرة " تبعًا للوسط والمقام والمتكلّم والسامعين"[٣٣].

ومن الافتراضات التي يستند إليها السيد الخرسان أنَّ الأرض ببقاعها المتعدّدة متفاوتة الفضل والكرامة فيما بينها، وقد سعى إلى إثباتها قرآنيًّا وحديثيًّا على ما سيتبيّن في قابل البحث.

المقدِّمة الرابعة: القِيَم:

الإنسان يخضع فطريًّا إلى منظومة من القِيَم والأفكار والمعتقدات التي تمارس سلطتها عليه، وتؤثِّر في نمط تفكيره، وتوجيه سلوكه، ومن هنا صار للقِيَمِ كبير أثرٍ في الحجاج؛ إذ هي "مدار الحجاج بكلِّ ضروبه، وهي لئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلميّ والعلوم الشكليّة فإنَّها تمثِّل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاءً أساسًا؛ فهي التي يُعوّل عليها في جعل السامع يذعن لما يُطرَح عليه من آراء"[٣٤].

ولعلَّ النصوص الدينيَّة من أكثر النصوص قوَّةً وتأثيرًا في من يؤمن بها، ومنظومة النصوص الدينيَّة التي يعتقد بها المسلمون تنقسم على قسمَينِ؛ نصوص قرآنيَّة، وأخرى حديثيَّة من السنّة الشريفة، وقد اتّخذ السيد الخرسان منهجًا استقرائيًّا لآراء المذاهب

٣١ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٩_ ٣٠.
٣٢ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٢٥.
٣٣ الشيخ كبير، "الحجاج مفهومه وأثره في صياغة القول وإعادة إنتاجه- مناظرات الشيخ أحمد ديدات لقسيسي النصارى أنموذجًا،" مجلّة جيل الدراسات الأدبيّة والفكرية، العدد٦٠. ٤١ : (٢٠٢٠).
٣٤ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٢٥.

الإسلاميَّة في أيِّ مسألة يتعرَّض لها تخصُّ السجود، وكان التركيز منصبًّا على آراء المذاهب الأربعة، والمصادر المعتبرة عندهم؛ جاعلًا ذلك تقنيَّة حِجاجيَّة ناجعة لإلزام المخالفين بما يعتقدون صحَّته؛ فيكون الحجاج بالقِيَم من باب (ألزموهم بما ألزموا به أنفسهم).

التقنيَّات الحجاجيَّة التفصيليَّة:

شرع السيّد الخرسان في تفصيلات حجاجه للآخرين في ضوء ما صاغه من مقدِّمات تتضافر مفاهيمها في عمليَّة نسج الحجج وتقديمها؛ بغية الوصول إلى فهم سليم، وتفسير دقيق لسلوكيَّات عباديَّة، أو طقوس شعائريَّة، وفهم أسسها وبواطنها التي شُيِّدت عليها بدلًا من إلقاء التُهم على من يُعتَقد بهم الإسلام ويؤمنون بضرورات الدِّين، فالفهم السليم لا يُبنى على حجّة وصْفيَّة حدودها الصورة الظاهرة للأشياء، بل يُبنى بالولوج إلى المقاصد الخفيَّة الثاوية وراء ذلك، والحِكَم التي تنطوي عليها؛ فقيمة السلوك تأتي ممَّا يندرج تحته من مقاصد، وما فيه من عمق[٣٥]، وقد سلك السيّد الخرسان في سبيل ذلك جملة من التقنيَّات الحجاجيَّة التابعة لنوع الحجج التي ساقها في المقامات المناسبة لها، كشفًا للمقاصد، وإفصاحًا عن الحِكم التي وجّهت تلك السلوكيّات، ومن أهمِّ تلك التقنيَّات الآتي بيانه:

الحجج شبه المنطقيَّة:

المقصود بالحجج شبه المنطقيَّة تلك "الحجج التي تستمدُّ قوّتها الإقناعيَّة من مشابهتها للطرائق الشكليَّة والمنطقيَّة والرياضيَّة في البرهنة... وهي تعتمد البنى المنطقيَّة مثل التناقض والتماثل التامّ أو الجزئيّ "[٣٦][٣٧]

يؤسّس السيد الخرسان لهذه القضية بتحديد مفهوم الأرض والمصاديق القابلة للانطباق على ذلك المفهوم، ومنه يصل إلى غاية حجاجيَّة يسعى إلى إيجادها تتلخَّص بقوله: " والكلام في تعيين ذلك المفهوم إنَّما نحتاجه لبيان معرفة ما اتَّفق عليه فقهاء المسلمين، وما اختلفوا فيه ليكون مورد الاتِّفاق... ملتقى العمل للفرد المسلم من أيّ مذهب كان، فيسعه الأخذ به دون مؤاخذة عليه أو نكير، وبذلك يسقط عنه التكليف بامتثاله، أمَّا ما اختلفوا فيه فهو متروك لأتباع كلِّ مذهب"[٣٨].

---

٣٥ طه، التواصل والحجاج، ١٩.
٣٦ الآداب، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، ٣٢٥.
٣٧ الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثّلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات)، ١٣٤.
٣٨ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ١١١.

فالأرض اسم جنس[٣٩ ٤٠ ٤١]، ويفرّق بينه وبين واحده بالتاء[٤٢]، فيرتِّب على ذلك السيد الخرسان أثرًا فيقول: "لكلِّ جنس أنواع وأفراد بينها تمايز لبعضها عن بعضها الآخر، ونتيجة ذلك الاختلاف بين الأنواع فقد صارت الأرض متَّحدة جنسًا متعدِّدة نوعًا، وليس كلُّ نوعٍ من ذلك الجنس يصحّ السجود عليه... فإنَّ هناك أرضًا يصحّ السجود عليها ، وأرضًا لا يصحّ السجود عليها"[٤٣].

استعان السيد الخرسان بالرأي اللُّغوي بوصفه حجّة له قيمة ملزمة على الجميع، ولا يمكن مخالفتها، وبنى على هذه الحجّة قولًا له بعدان؛ فهو نتيجة من جهة، وحجَّة لقولٍ آخر من جهة ثانية؛ أي أنَّ ثمّة تسلسل للملفوظات، وكلّ ملفوظٍ منها يقوم بواجبين؛ نتيجة لملفوظ سابق، وحجّة لملفوظ لاحق.

فالسجود يكون على الأرض، والأرض جنس له أنواع متعدّدة[٤٤]، ومن هنا نصل إلى نتيجة أنَّ السجود يتعدّد بتعدّد أنواع الأرض إلّا ما أخرجه الفقهاء باجتهادهم بعد نظرهم بالأدلّة الشرعيّة، وهذه التعدية في الحجّة الأولى إلى نتيجة قامت مقام الحجّة الثانية وصولًا إلى النتيجة النهائيّة في حدود هذه المسألة "تنتمي إلى صنف الاستدلالات الرياضيَّة؛ ليُفاد من صرامتها في المجالات الخلافيَّة ...فإذا كنت أ= ب، وب= ج، فإنَّ أ= ج"[٤٥].

ثُمَّ يناقش السيّد الخرسان مسألة السجود على التربة من جانبَين مستندَين إلى روايتين؛ هما:

المسألة الأولى: تتعلّق بالحديث المرويّ عن النبي ﷺ: " وجُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورا"[٤٦ *]، وقد ناقش سند هذا الحديث وأثبته، ثُمَّ انتقل إلى المصادر التي ذكرته من الشيعة والسنّة، وبعدها انتقل إلى دلالة الحديث؛ إذ فيه خصوصيّة للنبيّ ﷺ من دون سائر

٣٩ الجوهري، إسماعيل بن حمّاد. معجم الصحاح، رتبه وصحّحه. شمس الدين، إبراهيم. ط١ (شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠)، ٢٨.
٤٠ الأفريقي، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور. لسان العرب، ط١ (بيروت: دار صادر، د.ت.)، ٧/ ١١١.
٤١ الفيروزآبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب. القاموس المحيط، علّق. أبو الوفا نصر الهوريني و أحمد باشا تيمور، ط١ (دار الغد الجديد، ٢٠١٤).
٤٢ الطريحي، فخر الدين. مجمع البحرين، تحقيق. الحسيني، أحمد. ط١ (الأميرة للطباعة والنشر، ٢٠١٠)، ٤/ ٤٨٧.
٤٣ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ١١٢.
٤٤ المظفّر، مُحَمَّد رضا. المنطق، د.ط. (دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦)، ١/ ٧٥.
٤٥ طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة، ٣١.
٤٦ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تصحيح. علي أكبر الغفاري، ط٢ (قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، د.ت.)، ١/ ٢٧٣.
* قال النبيّ ﷺ:" أعطيت خمسا لم يُعطها أحد قبلي: جُعلت لي لأرض مسجدًا وطهورًا، ونُصرتُ بالرعبِ، وأُحلّ لي المغنم، وأُعطيتُ جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة".

الأنبياء الذين حُدِّد لهم مكان الصلاة في الكنائس والبِيَع.

تأسيسًا على ذلك يرفض السيّد الخرسان السجود على الطنفسة[٤٧] * الذي دأب عليه الأخوة من غير الشيعة، وقد قدّم حجّة تاريخيّة بحث فيها الحقبة الزمنيّة التي فُرِشت فيها المساجد بالسِّجاد، وأثبت أنَّ المساجد على عهد النبيﷺ لم تكن مفروشة بالسِّجّاد، ولم يكن النبيّﷺ ليسجدَ على طنفسة، وإنَّما فُرشت المساجد في عهد بني أميَّة، ويقول في ذلك:"أمَّا أنا فأقول بصراحة تامَّة: إنَّهم بنو أميَّة، وإنَّهم أوَّل من أحدث الصلاة على الطنافس في الإسلام، وذلك كان في عصر أواخر الصحابة والتابعين"[٤٨]، فإذا كان السجَّاد غير موجود على عهد النبيّ ﷺ فكيف يصحّ السجود عليه؟ ومن هنا وصل السيّد الخرسان إلى نتيجة أنَّ " السجود على الطنافس لا يصحّ، إذ لم تأتِ به سنَّة نبويَّة ... ما دامت تلك الطنافس ليست أرضًا ولا ممَّا أنبتت الأرض"[٤٩].

المسألة الثانية: تتعلّق بالحديث المروي عن النبيّﷺ؛ إذ قال: "من بنى مسجدًا ولو كمفحص قطاة بنى له مثله –بيتًا– في الجنّة"[٥٠]، ومحلّ الإشكال يكمن في قوله : بنى مسجدًا، وكمفحص قطاة[٥١] ؛ إذ وجّه ابن حجر العسقلانّي معنى: بنى مسجدًا توجيهَيْن؛ أوَّلهما: بناء المسجد الذي هو مكان للصلاة، أو المساهمة في بناء المسجد، وثانيهما: المراد ببناء المسجد موضع السجود وهو ما يسع الجبهة، وبقرينة مفحص القطاة[٥٢]، لكنَّه استدرك وقال: " لكنّ قوله بنى يُشعر بوجود بناء على الحقيقة، ويؤيّده قوله في رواية أم حبيبة من بنى لله بيتًا"[٥٣] ، فهو يضعّف مسألة بناء مسجد بمعنى مكان السجود بالاستناد إلى رواية أم حبيب.

أمّا توجيهه لـ(مفحص قناة) فقد جاء بوجهين أيضًا؛ أوَّلهما: الحمل على المبالغة، وثانيهما: المساهمة في تشييد مسجد ولو بمقدار مفحص القطاة[٥٤]

---

٤٧ الأفريقي، لسان العرب، ٦/ ١٢٧.
٤٨ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٣٤.
٤٩ الخرسان، ٢٤٢.
٥٠ العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري، ط٢ (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.)، ١/ ٤٣٥.
٥١ الأفريقي، لسان العرب ؛ مفحص القطاة: مكان مبيض القطاة ٧/ ٦٣.
٥٢ العسقلاني، فتح الباري، ١/ ٤٥٣.
٥٣ العسقلاني، ١/ ٤٥٤.
٥٤ العسقلاني، ١/ ٤٥٣.
* الطنفسة البساط الذي له خملٌ بسيط، وهو السِّجاد.

يأتي هنا نقاش السيّد الخرسان لما ذهب إليه ابن حجر العسقلانيّ كاشفًا عن التعارض الذي وقع فيه؛ إذ إنَّ العسقلانيّ قد وجَّه دلالة (مسجدًا) توجيهَين متضادّين في حديثَيْنِ سياقهما واحد، وموضوعهما واحد؛ ففي حديث: " جُعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا" ذهب إلى أنَّ المقصود به "موضع السجود، لا يختصّ السجود منها بموضع دون غيره، ويمكن أن يكون مجازًا عن المكان المبنيّ للصلاة"[٥٥]، وفي حديث (مفحص القطاة) يذهب إلى عكس ذلك إذ جعل الحقيقة مبنيَّة على بناء المسجد، وضعّف موضع السجود على نحو ما اتَّضح في النقاش السابق.

وهنا يأتي تعليق السيّد الخرسان على هذه الأقوال بعد أن كشف التناقض في التوجيه؛ بحجّة شبه منطقيَّة قائمة على كشف التضادّ في المواقف، وبعد ذلك قال محتجًّا" لا يمتنع أن يكون المراد بناء مسجد؛ أي موضع سجود وذلك ما يفعله الشيعة من جمع تراب، فيديفونه بماء يصنعون منه ألواحًا بقدر ما يسع الجبهة في سجودهم، وعليه فلا وجه للاستنكار عليهم في فعلهم ذلك ما دام الحديث يسعهم إمّا حقيقة... وإمّا مجازًا"[٥٦].

تقنية المشابهة والكيل بمكيالين:

تقوم المسائل الحجاجيّة على الإشكال وحلّ الإشكال بين المتحاجَّيْن، ولكلٍّ منهما سلوك إستراتيجيّات محدّدة لبلوغ هدف التأثير والإقناع، ومن مسالك الحجاج نقضُ الإشكال المطروح بشبيهه في منظومة الشخص المشكِل من دون ترتيب الأثر الذي يرتّبه على من يتحاجج معه، وهو ما يُطلق عليه إستراتيجيّة الجواب النقضيّ، ويقابلها إستراتيجيّة الجواب الحلّيّ الخائض في تفاصيل الإشكال ومحاولة البرهنة على حلّه.

فالعقل يتّجه إلى القياس في حكم الأمثال؛ إذ " إنَّ حُكْم الأمثال في ما يجوز وما لا يجوز واحد"[٥٧]، فينبغي أن يكون الاستقراء كاملًا في المسألة، ولا يُنظر لها بعينٍ واحدةٍ، وهو ما ردّ به السيّد الخرسان على الطرف الثاني في حجاجه.

وقد شرع السيّد الخرسان في حجاجه بتحديد محلِّ الإشكال القائم على حصر الاختلاف بين المذهَبَين الشيعيّ والسنّي في مسألة السجود على التربة عمومًا والتربة الحسينيّة خصوصًا،

٥٥ العسقلاني، ١/ ٤٩١.
٥٦ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ١٢٩.
٥٧ السبحاني، جعفر. أصول الفقه المقارن فيما لا نصّ فيه، ط١ (قم: مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٢٥)، ١/ ١١٠.

وقد اتَّبع السيِّد مسلكين في إجابته؛ هما الجواب النقضيّ، والجواب الحلّيّ:

الأوَّل الجواب النقضيّ:

نقض السيّد الخرسان الإشكال القائم على أساس حصر الخلاف بين الطائفَتَيْن بأمور منها؛ إنَّ الخلاف غير محصور بين الطائفَتَيْن فقط، بل هو خلاف موجود بين الطوائف جميعها وفي تفاصيل كثيرة على غير مقتصرة على مسألة السجود[٥٨] *، بل تتعدّاه إلى جملة كبيرة من أفعال الوضوء، والصلاة، والتيمّم، وأحكام الصوم وغيرها كثير، وفي ضوء هذا الخلاف الحاصل يقف السيد الخرسان جملة وقفات حجاجيَّة؛ هي:

الوقفة الأولى: الاختلاف من سمات القوَّة التي تنماز بها منظومة الفكر الإسلاميّ ولا سيَّما في مجال الأحكام؛ فالاختلاف مبنيٌّ على أسس علميّة؛ وقد قُرِّر أنَّ " اختلاف أمّتي رحمة"[٥٩ ٦٠]، ومن هذا المنطَلق يردّ السيد الخرسان قائلاً: " كلّ ذلك لا يوسِّع شقّة الخلاف، ولا يثير نعرة الاختلاف؛ لأنَّهم يروون (اختلاف أمّتي رحمة)، ونحن لا ننكر قصر تنزّل تلك الرحمة عليهم دون بقيّة المسلمين الذين يختلفون معهم حكم من الأحكام لو كان ثمَّة اختلاف بخلاف"[٦١]، فإذا كانت إحدى كوامن الرحمة الاختلاف، فنحن مشمولون شأننا شأن المسلمين، وما من داعٍ إلى إخراجنا من دائرة الرحمة إلى دائرة الشرك واللعن والطرد.

الوقفة الثانية: إنَّ الاختلاف في أمر السجود لم يأتِ من فراغ أو أنَّه دعوى لمجرّد الاختلاف والتميّز، بل هو مبنيّ على إرث حديثيّ-على نحو ما سيأتي- وفهم واجتهاد ناتج عن قراءة مغايرة لما قرأه الآخرون، فكما من حقِّ الآخَر أن يقدِّم قراءته لموضوع ما وله كامل الحرِّيَّة في ذلك لنا الحقُّ أن نقدِّم ما نعتقد صحَّته، ونعمل به من دون المساس بعقائد الآخرين أو أن نرميه ببهتان أو تشنيع، وممَّا ينبغي أخذه بالحسبان خصيصة الاجتهاد التي تنماز بها المنظومة الاستدلاليّة الشيعيّة : " ولمّا كان باب الاجتهاد ما زال

٥٨ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٣٠_ ٣١.

٥٩ الحر العاملي، وسائل الشيعة، تحقيق. عبد الرحيم الربّاني الشيرازي، ط٥ (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣)، ١٦/ ١٦٤.

٦٠ الصدوق، معاني الأخبار، تحقيق. علي أكبر الغفاري، د.ط. (قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٣٨)، ١/ ١٩٠.

٦١ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٣٠.

* من مواطن الخلاف التي يرصدها السيّد الخرسان ما يتعلّق بأعضاء السجود وقد جاءت على مستويات؛ منها ما بين المذاهب أو المذهب الواحد والشخص الواحد.

مفتوحًا عند فقهائهم ولم يوصدوه كغيرهم فلا مناص من تعدّد آرائه"[٦٢]، ووفق قراءتنا لأدلّة الاستنباط والفهم لمصادر التشريع وصلْنا إلى مشروعيّة السجود على التربة، فـ"هل يستوجب سجود المسلم لله تعالى على تربة من الأرض أن يرميَه بالإفك والبهتان؟ وهل يرى فيما استنكره مجالًا يستدعي إلى النكير والتشهير؟ وهل الخلاف –إن وُجِد– إلّا كسائر الخلاف بين بقية المذاهب في سائر الفروع الفقهيّة؟"[٦٣].

الوقفة الثالثة: ليس من اليسير أن نطلق الأحكام التي من شأنها إخراج فئة أو طائفة من الدِّين ، ولعنها لمجرّد سلوك عباديّ يخالفنا؛ ولا سيّما إذا كانت هذه الطائفة تتحرَّك وفقًا لمتبنّيات معيّنة تصرّح بها، وتنظيرات تستمدّ قوّتها من مصادر التشريع المعروفة والمشتركة بين المسلمين كافّة، ولهم أقوال كثيرة وتفصيليّة، ونقاشات معمّقة، وتدقيق في النظر، وإعمال للفكر في شتّى مسائل الأحكام الشرعيّة، ومنها مسألة السجود المتعلّقة بالصلاة، وهي في المنظومة الفكريَّة العباديَّة الإسلاميَّة تمثّل ركنًا رئيسًا، وأساسًا من الأسس التي يقوم عليها إيمان المؤمن، ويترتّب على تاركها أو الإخلال بأفعالها عمدًا من الموبقات الكبيرة التي يحاسب عليها الله تعالى، ومن الأحاديث الواردة في أهمِّيَّة الصلاة ما ورد في وصيَّة النبيّ ﷺ لأبي ذرّ (رحمه الله) قائلًا: "يا أبا ذرّ؛ إنّكَ ما دمتَ في الصلاة فإنَّك تقرع باب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يُفتح، يا أبا ذرّ؛ ما من مؤمن يقوم إلى الصلاة إلَّا تناثر عليه البرُّ ما بينه وبين العرش، ووُكِّل به ملك ينادي: يابن آدم؛ لو تعلم ما لك في صلاتك؟ ومن تناجي؟ ما سئمتَ، ولا التفتَّ... يا أبا ذرّ لا تجعل بيتكَ قبرًا، واجعل فيه من صلاتك يضيء بها قبرك، يا أبا ذرّ؛ الصلاة عمود الدين"[٦٤].

٦٢ الخرسان، ٤٣.
٦٣ الخرسان، ٣٨.
٦٤ الطوسي، الأمالي، ط١ (قم المقدسة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ)، ٥٢٩.

فهل يمكن لطائفةٍ دينيّة تكون الصلاة عندهم هذه الأهمِّيَّة أن تتهاون فيها، وفي أفعالها؛ بل يجد المتابع أنَّ الشيعة أشدُّ حرصًا، وأكثر تقوًى من غيرهم، وهم منتمون إلى أهل بيت النبيّ ﷺ؛ " فإنَّ الشيعة الإثني عشريَّة هم أتقى من أن يفرِّطوا في أمر الصلاة؛ فيأتوا بها كيفما صارت كما هو ديدن بعض جهّال المسلمين"[٦٥]. فالسجود على التربة ليس أمرًا سطحيًّا، بل جاء نتيجة اجتهاد من لدن علماء كبار تربّوا على مبادئ اختطّها أهل بيت النبيّ ﷺبمدادهم ودمائهم، " وهم خريجو مدرسة أهل البيت الطاهرين والعترة الميامين ...فما ظنّك في احتياطهم لأنفسهم في امتثال أوامر ربِّهم، وتعاليم نبيّهم، وإرشادات أئمّتهم"[٦٦]، أفلا يكون التعامل معهم بحسن الظنّ والحمل على الخير أولى من القول بالتكفير والإخراج عن الملّة؟، ألا يدخل اختلافنا معهم في باب الرحمة للأمّة، أليس هو اختلافًا مبنيًّا " على أساس اختلاف الأفهام الاستفادة من أدلَّة الأحكام، فالأصل في الاختلاف ليس مبنيًّا على قصور في حجيَّة الدليل، وليس التقصير في التحصيل، بل كلٌّ بذل وسعه، وأنفق طاقته، ولكنَّه فهم ما وسعه فهمه، وأدَّى إليه اجتهاده"[٦٧]، فالاختلاف نابع من الفهم للدليل الشرعيّ، والإخلاص في استنباط الحكم الشرعيّ، فمن غير المعقول أن يخالف المرء النتيجة التي يتوصّل إليها ببذل جهد، وإعمال فكر.

من هنا تنتقض إشكالاتهم، ويكون طرحها ناقضًا لآرائهم أيضًا، فالإشكال المطروح يشمل الاختلافات كلّها، وفي المذاهب جميعها؛ إذ إنَّها لا تخلو من اختلافات بينها، وهذه الحجّة منطلقة من قراءة للواقع ومؤسَّسة عليه، " فإنَّ الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقيَّة للربط بين أحكام مسلّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلّمة بها، وذلك بجعل الأحكام المسلَّم بها والأحكام غير المسلَّم بها عناصر تنتمي إلى كلٍّ واحد يجمع بينها، إذ لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يُسلَّم بالآخر"[٦٨]

٦٥ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٣٦.
٦٦ الخرسان، ٣٧.
٦٧ الخرسان، ١١٧.
٦٨ صولة، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، ٤٩.

الثاني: الجواب الحلِّيُّ:

تكمن حلول المسائل والإشكالات وإجابتها في الخوض بالتفاصيل، ومناقشة الآراء والأدلّة؛ وعندما نحاجج فإنّنا بصدد " ممارسة فكريَّة صائبة، نهيكل حسب تمشٍّ تحليليّ وتأليفيّ موّاد، ثُمَّ ننظر في مشكل ما، ونفكّر، ونفسِّر، ونبرهن بواسطة حجج ودواعٍ وبيّنات، ونوفِّر أسبابًا، وتمثّل نتيجة الحجاج اكتشافًا، وتنتج أمرًا جديدًا، أو ليس ما هو أقلّ من المعرفة"[٦٩]، فالمحاجّ يأخذ بمجامع علمه، ويستفز ثقافته، ووعيه، ويستدعي معارفه في سبيل تقديم ما يثبت به حجّته على أسس مقبولة؛ " فيعمد إلى بيان ما لها وما عليها؛ مؤكِّدًا محاسن موقف ما ومساوئه، مثيرًا للمبادئ والقيم، مذكِّرًا بالتاريخ"[٧٠]، فالحجج المتَّكئة إلى منظومة قيم ملزمة تكون أكثر فاعليّةً وقوّة، وقد خاض السيّد الخرسان في تفاصيل الإشكال وحلّه، وكان الإشكال الموجّه إلى الشيعة منبنيًا على صورتين؛ أوّلاهما السجود على عموم التربة، وثانيهما السجود على التربة الحسينيّة تحديدًا، وتفضيلها على باقي التُّرَب.

الصورة الأولى: السجود على عموم التربة:

المتتبّع يجد السيّد الخرسان قد خاض نقاش هذه المسألة في مواضع متعدّدة من كتابه، وقد بدأ بتحديد الأساس الذي يدعو إلى هذا الإشكال ومثيلاته، ومن أهمِّ الأسس الابتعاد عن كتاب الله العزيز، والتمسّك بآراء الفقهاء والعلماء وتفضيلها على النصِّ القرآنيّ، أو أخذ تلك الآراء أخذ المسلّمات، وهو أمر غاية في الخطورة، وممَّن التفت إلى ذلك السيّد مُحَمَّد صدّيق حسن خان القنّوجيّ البخاريّ الحنفيّ عند مناقشة مسألة خلافيّة منتقدًا فتاواهم واصفًا إيَّاها بقوله: " ما جمعه أهل الرأي من الفتاوى الضخيمة، والطوامير الفروعيَّة التي لا مستند لأكثر ما فيها من الحلال والحرام، والجائز وغير الجائز، وقد ابتُلي بهذه البليَّة كثير من متأخِّري المقلّدة للمذاهب الأربعة، فأبرزوا من التفريعات والتخريجات ما لا تظلّه السماء ولا تقلّه الأرض، ومنذ حدثت هذه البدع رُفِعت من السنّة غالبها، وجلست المنكرات مجالس المعروفات، وعُكِست القضية في أمور الديانات، حتَّى أن الجاهل من هؤلاء يزعم أنَّ كلَّ مسألة

٦٩ بلانتان، كريستيان. الحجاج، ترجمة. عبد القادر المهيري، د.ط (تونس: دار سينترا، ٢٠١٠)، ٢٩.
٧٠ الذريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ٢٥.

في كلِّ كتابٍ فقهيٍّ من المذهب الحنفيّ والشافعي مثلًا في أمِّ الكتاب، ويتحرّج عن العمل بما ثبت من القرآن والحديث صراحة ونصًّا، وظاهرًا، ولا يتحرّج عن العمل بما قاله إمامه... ومنهم من يؤوّل الحديث إلى مؤدَّى المذهب، ولا يصرف المذهب إلى مدلول الحدث"[٧١].

من الأمور التي يشخِّصها هذا النصّ مسألة الجدال التي لا تُعنى بالبحث عن الحقيقة، بل تسعى دائمًا إلى إثبات الحقيقة التي يعتقد بها المتكلِّم، وفي سبيل إتمام ذلك يلجأ إلى عمليَّة الإسقاط الفكريّ، فيلجأ إلى ليِّ عنق النصوص؛ ليجعلها تتوافق وما يراه هو، لا ما عليه الحقيقة الحقيقيّة، والدافع إلى ذلك مجموعة عوامل أكثرها سوءًا العناد والمماراة.

فالإشكال وردّه لا بدَّ من أن ينطلقا من أساس شرعيٍّ متينٍ ورصين، أمّا الإشكال ههنا فهو لم ينبنِ على أساس شرعيّ، ويمكن ردّه وإجابته بالرجوع إلى أدلَّة التشريع.

أمّا الدليل القرآنيّ فمن المفروغ منه وجوب السجود، وهو أمرٌ قرآنيٌّ لا ريب فيه ولا شكّ؛ إذ قال تعالى آمرًا نبيّه الكريم ﷺ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ (الإنسان٢٦)، وقوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق ١٩)، وهناك آيات كثيرة تتحدّث عن السجود على نحو عامّ أو خاصّ، وقد خصّص النبيّ ﷺ موضع سجوده بالحديث المروي عنه ﷺ : " جُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورا"[٧٢].

وهنا يبرز الإشكال على التربة، أهي من الأرض أم لا؟ وقد أجبنا سابقًا في حديث (مفحص القطاة)، ويزيد السيّد الخرسان أدلّة ذلك بما يرويه عن ابن حزم في المحلّى: " ومن كان بين يديه طين لا يفسد ثيابه ولا يلوث وجهه لزمه أن يسجد عليه، فإنَّ آذاه لم يلزمه"[٧٣]، وممّا نُقِل عن التابعي عبد الله بن مسروق أنَّه كان يأخذ لبنة من الطين معه إذا سافر وركب السفينة ليسجد عليها[٧٤] [٧٥] إذن فهناك من يقول بجواز السجود على جزء من الأرض، وليس الشيعة فقط.

---

٧١ السبكي، محمود مُحَمَّد خطاب. الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق، صححه. أمين محمود خطاب، ط٤ (حقوق الطبع محفوظة له، ١٩٧٧)، ٣/ ١٦٦.

٧٢ الجعفي، أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. صحيح البخاري، د.ط. (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١)، ٢/ ٩٢.

٧٣ ابن حزم، المحلّى، د.ط. (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ٣/ ٢٦٨.

٧٤ أبو شيبة، الحافظ أبي بكر عبد الرزاق .المصنّف، تحقيق. أبي أسامة بن إبراهيم مُحَمَّد، د.ط. (دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، د.ت.)، ٢/ ١٧٢.

٧٥ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٦٩.

ولو نظرنا إلى المعنى اللُّغويّ للتربة لوجدناها الطائفة من التراب، ويقول الليث: الترب والتراب واحد، إلَّا أنَّهم قالوا: التربة، يُقال: أرضٌ طيّبة التربة[٧٦]، فالتربة لا تتغيّر خواصّها، ولا تتبدَّل، ولا تستحيل إلى شيء آخر؛ " فإنَّ ماهيَّة التربة هي عين ماهيَّة التراب؛ لأنَّها طائفة منه، ولم تخرج عن حقيقته بأيِّ كيفيّة جُعِلت، بأيِّ صورة رُكِّبت، وبأيِّ حجم صُنِعت؛ فهي طائفة من التراب، سواء بقيتَ ترابًا متناثرًا، أو جُمِعتْ فكانت ترابًا متراكمًا، وسواء كان تراكمها بجمع حفنة من تراب، أم ببلّها بماء طاهر يُداف به فيصير طينًا، ثُمَّ يُترَك حتَّى ييبس فيصير صلدًا؛ فالتربة إذن هي حقيقة تراب وإن تغيّرت الهيئة والكيفيّة والتصنيع، فلم يخرجها عروض الهيئة عن حقيقتها الترابيَّة"[٧٧]

أمّا التربة التي يسجد عليها الشيعة فهي " طائفة من تراب طاهر ديفَ بماء طاهر، ثُمَّ يبست لم يخرجها ذلك عن كونها ترابًا؛ فتكون هي من أفضل أنواع ما يصحّ السجود عليه"[٧٨].

وللشيعة في تراثهم أدلَّة كثيرة بخصوص السجود على التربة –عموم التربة– وممَّا ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: دعا أبي بالخمرة – نسيج من سعف النخل– فأبطأتُ عليه، فأخذ كفًّا من حصباء، فجعله على البساط، ثُمَّ سجد"[٧٩]، وورد أيضًا عن " صالح بن الحكم قال: سألتُ أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن الصلاة في السفينة، فقال إنَّ رجلًا سأل أبي عن الصلاة في السفينة، فقال له: أترغب عن صلاة نوح عليه السلام؟ فقلتُ له: آخذ معي مدرّة أسجد عليها؟ فقال: نعم"[٨٠] [٨١].

الصورة الثانية: وثانيها السجود على التربة الحسينيَّة تحديدًا، وتفضيلها على باقي التُّرَب:

يشرع السيّد الخرسان هذا المحور بالبرهنة على أنَّ ما يرد عن المعصومين عليهم السلام هو امتدادُ للسنَّة النبويَّة، وهو مصدر للتشريع، فيقول في ذلك: " إنَّ سنَّتهم امتداد لسنَّة جدِّهم صلى الله عليه وآله، بحكم حديث الثقلَين الثابت عنه صلى الله عليه وآله؛ إذ جعلهم فيه عِدل القرآن، وقال فيهما؛ القرآن والعترة: لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض"[٨٢].

---

٧٦ الأفريقي، لسان العرب، ١/ ٢٢٧.
٧٧ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٦٩.
٧٨ الخرسان، ١١٠.
٧٩ الخرسان، ١٣٢.
٨٠ الطوسي، أبي جعفر مُحَمَّد بن الحسن. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، تحقيق. حسن الموسوي الخرسان، ط٣ (طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٤ش)، ٣/ ٢٩٦.
٨١ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٧٠.
٨٢ الخرسان، ١٣٠.

يثبّت السيد الخرسان أمرًا آخر غاية في الأهمّيَّة؛ ألا وهو حقيقة التفاضل بين البقاع، ويكون ذلك ببراهين متعدِّدة؛ أهمّها:

أوَّلًا: البرهان القرآنيّ:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (الرعد ٤)، كذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (فُصِّلت ١٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ٩٦)، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص ٣٠).

فمن هذه الآيات المباركة وغيرها يستدلّ السيّد الخرسان على أنَّ "هذه الآيات ونحوها تدلّ على مباركة الباري –جلّ وعلا– لبعض الأرَضين ففضّل بعضها على بعض"[٨٣].

ثانيًا: البرهان الروائيّ العام:

المقصود بالبرهان الروائيّ العام الروايات التي وردت بشأن التفاضل بين البقاع من كتب العامّة ونظرتهم لهذا المفهوم، إذ ورد في الروايات جملة من الأشياء التي تثبت أنَّ البقاع تشقى وتسعد، ومن البدهي؛ الأرض التي تسعد أفضل حالًا من الأرض الشقيَّة، وممَّا أخرج البخاريّ ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر: " إنَّ الناس نزلوا الحجر– أرض ثمود– فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردّها الناقة"[٨٤ ٨٥ ٨٦]، وممّا رواه أورده البخاري أنَّ الإمام عليًّا كره الصلاة في بابل[٨٧ ٨٨]، وبموجب ما سبق يكون التفاضل واضحًا، ومنصوصًا عليه في الكتابة والسنّة.

---

٨٣ الخرسان، ٢٧٧.
٨٤ النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم، د.ط. (بيروت: دار الفكر، د.ت.)، ٨/ ٢٢١.
٨٥ الجعفي، صحيح البخاري، ٤/ ١٢١.
٨٦ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٧٨.
٨٧ الجعفي، صحيح البخاري، ١/ ١١٢.
٨٨ أبو شيبة، المصنّف، ٢/ ٢٧١.

ومن الجدير بالذكر أنَّ ثمَّة بعدًا شرعيًّا له مدخليَّة في تفضيل البقاع بعضها على بعض، فمن الأراضي ما تكتسي بالقداسة ويصبح لها أحكامًا خاصَّة إذا ما انتقلت من أرض عامَّة إلى أرض بُنيَ عليها المسجد؛ " فربَّ أرضٍ تكون لها الفضيلة بجعل من الشارع المقدّس؛ فمثلًا لننظر إلى أرض المسجد ... قبل أن تكون مسجدًا هي وغيرها سواء، ولكنَّها بعد أن طرأ عليها عنوان المسجديَّة صارت ذات أحكام خاصّة بها، لا تساويها بقية الأرض التي هي ليست بمسجد، وإن كانت بجوارها"[٨٩]، فهناك ما يمكن أن يعطي لبقعة ما أفضليَّة على البقاع الُأخر، فيعلو شأنها، وتتشرّف، وتُقيّد فيها الأعمال، حفاظًا على شرفيّتها، وتماشيًا مع قدسيّتها.

ومن اللافت أنَّ في داخل دائرة القدسيَّة تفاوتًا؛ فمن المساجد ما له خصيصة تفوق ما لغيرها، فـ" الشارع المقدّس هو الذي جعل لبعض المساجد فضلًا على بعض المساجد فجعل للمسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى ومسجد الكوفة أحكامًا خاصّة ميّزتها بالفضل، كفضل الصلاة فيها على غيرها من سائر المساجد"[٩٠]، فالضابطة في التفضيل ضابطة شرعيّة، ولكلٍّ تفضيل أحكامٌ وشروط.

رابعًا: البرهان العقليّ:

لّما كان التفضيل بين المساجد مبنيًّا على أساسٍ شرعيٍّ، فكذلك تزداد البقاع شرفًا إذا ما ضمّت بين ذرّاتها أجسادًا للأولياء والأنبياء والصالحين فيزداد "شرف المكان من شرف المكين، فكلَّما كان المكين أفضل كان المكان المنسوب إليه أفضل"[٩١]، ومن هنا ذهب الإجماع إلى تفضيل البقعة المباركة التي ضمَّت جسد النبي ﷺ على غيرها من البقاع، ويستشهد السيّد الخرسان بأقوال بعضهم ومنها ما ورد في السيرة الحلبيَّة؛ إذ قال: " وقام الإجماع على أنَّ هذا الموضع الذي ضمَّ أعضاءه الشريفة -صلّى الله عليه (وآله) وسلّم- أفضل بقاع الأرض حتَّى موضع الكعبة الشريفة، قال بعضهم وأفضل من بقاع السماء أيضًا حتَّى من العرش"[٩٢] [٩٣]، وممّا ذهب إليه نور الدِّين علي بن أحمد السمهوديّ أنَّه "قد انعقد الإجماع على تفضيل ما

٨٩ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٨١.
٩٠ الخرسان، ٢٨٢.
٩١ الخرسان، ٢٨٢.
٩٢ الحلبي، علي بن أحمد. السيرة الحلبيّة إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧)، ٣/ ٤٩٥.
٩٣ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٨٣.

ضمَّ الأعضاء الشريفة حتَّى على الكعبة المنيفة، وأجمعوا بعد على تفضيل مكَّة والمدينة على سائر البلاد، واختلفوا أيّهما أفضل"[٩٤ ٩٥].

من هذين القولَين نخلص إلى نتيجتَين؛ **أولاهما**: إنَّ التفاضل أمرٌ مفروغٌ منه، **وثنتاهما**: إنَّ من ضوابط التفضيل شرف المكين ومقامه، وهذا يترتّب عليه تفضيل المكان في إطار دائرة التفاضل بين الأمكنة والبقاع.

فإذا ما ثبتت هذه النتيجة، يجعلها السيّد الخرسان حجّة على شرفيّة كربلاء وأفضليّة تربتها على غيرها، لأنَّها ضمَّت جسدًا له علقة مباشرة بجسد النبيّ ﷺ، واستشهد بالحديث المعروف : "حسين منّي وأنا من حسين، أحبَّ الله من أحبَّ حسينًا، حسين سبط من الأسباط"[٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩]، ووثّقه من مصادر الطرف الآخر، بوصفها مصادرَ لها قيمة عندهم، وهي ملزمة للأخذ بما تقرّه وتوثّقه.

فهذا الحديث يؤكِّد حقيقة علاقة البعضيَّة بين الحسين وجدّه (صلوات الله عليهما) بدلالة العامل الحجاجيّ (منّي)؛ مستثمرًا دلالته، وتوجيهه، وما يحمل من قوّة حجاجيّة[١٠٠] فمن دلالات (من) في اللُّغة التبعيض[١٠١ ١٠٢]، وممّا يؤيِّد هذه الحقيقة تأويل النبيّ ﷺ لرؤيا أم الفضل بنت الحارث زوج عمِّه العبَّاس بن عبد المطَّلب، ففي يوم من الأيّام "دخلت أم الفضل بنت الحارث على النبيّ ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنّي رأيتُ حُلمًا منكرًا الليلة. قال: وما هو؟ قالت إنَّه شديد. قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأنَّ قطعة من جسدك قُطِعت ووُضِعت في حجريّ. فقال رسول الله ﷺ: رأيتِ خيرًا، ستلدُ

٩٤ السمهودي، علي بن عبد الله الحسيني الشافعي. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ)، ١/ ٣١.
٩٥ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٨٣.
٩٦ البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل. الأدب المفرد، تحقيق. مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، ط٤ (دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧)، ٨٥.
٩٧ الترمذي، الحافظ أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى. سنن الترمذي، تحقيق. عبد الوهاب عبد اللطيف، ط٢ (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣)، ٥/ ٣٢٤.
٩٨ القزويني، الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد. سنن ابن ماجة، تحقيق. مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، د.ط. (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.)، ١/ ٥١.
٩٩ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٨٤.
١٠٠ الناجح، عزّ الدِّين. العوامل الحجاجيّة في اللغة العربية، ط١ (تونس: ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ٢٠١١)، ٣٠.
١٠١ الأنصاري، جمال الدين ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق. مازن المبارك، و مُحَمَّد علي حمدالله، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٩٦٤)، ١/ ٣٥٣.
١٠٢ الرماني، أبي الحسن علي بن عيسى. معاني الحروف، تحقيق. الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي، د.ط. (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.)، ٨٧.

فاطمة –إن شاء الله– غلامًا فيكون في حجرك، فولدت فاطمة –سلام الله عليها– الحسين. فقالت أمّ الفضل: فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ"[١٠٣]، ويستشهد السيّد الخرسان بأحاديث أُخر تأييدًا لهذه الحقيقة، ويخلص إلى نتيجة مهمَّة يقول فيها: " إذن فالحسين ﷺ بمثابة عضو من أعضائه، وهو كقطعة من جسده الشريف بحكم تأويله ﷺ؛ فتربته كتربة قبر جدّه في التكريم وحقّ التعظيم؛ لأنَّها ضمَّت بعضًا وبضعة من رسول الله ﷺ، فعلى هذا البيان قد استبان وجه تفضيلها على غيرها"[١٠٤]

استدلَّ السيد الخرسان بحجّة البعضيَّة، فلمّا كان النبيّ ﷺ أفضل الخلق وأشرفهم، فتكون تربته أفضل التُرب وأشرفها، والحسين ﷺ بعض من النبيّ وجزء منه؛ فتكون تربته أفضل الترب أيضًا وأشرفها.

خامسًا: البرهان الروائيّ الخاصّ:

أورد السيّد الخرسان جملة من الأحاديث الخاصَّة بالتربة الحسينيّة، إذ ثمَّة عدد كبير من الروايات التي تؤكِّد قيمة التربة الحسينيّة، وفضلها وشرفيّتها، وقد جعل من تلك الروايات حججًا تؤدِّي نتيجة واحدة وتؤكِّدها.

وممّا أورده من حديث طويل عن بكاء الإمام عليٍّ ﷺ في كربلاء إبَّان معركة صفِّين ، إذ ذكر ابن عبَّاس أنَّ ممَّا قاله الإمام عليٌّ ﷺ: "والذي نفسي بيده لقد حدّثني الصادق المصدّق أبو القاسم ﷺ أنِّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا وهذه أرض كربٌ وبلاء، يُدفن فيها تسعة عشر رجلًا كلّهم من ولدي وولد فاطمة ﷺ، وإنَّها لفي السماوات معروفة تُذكر: أرض كرب وبلاء، كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس"[١٠٥ ١٠٦].

ومن الأحاديث المرويَّة عن أمِّ سلمة في التربة الحسينيّة وخصوصيّتها ما ذكرته بأنَّ جبريل نزل على النبيّ ﷺ وقال: "يا مُحَمَّد؛ إنَّ أمَّتك تقتل ابنك هذا من بعدك؛ فأومأ إلى

١٠٣ النيسابوري، الحافظ أبي عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين، إشراف. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، د.ط. (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، ٣/ ١٧٦.

١٠٤ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٨٨.

١٠٥ الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة، د.ط (النجف: المطبعة الحيدريّة، ١٩٧٠)، ٤٩٧.

١٠٦ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٢٩٦.

الحسين...وأتاه بتربة فشمّها، ثُمَّ قال: ريح كرب وبلاء"[١٠٧] [١٠٨]، وهكذا يسرد مجموعة من الأحاديث التي جاءت على لسان عدد من الصحابة، وأمّهات المؤمنين، وبأزمنه متعاقبة، تدلّ دلالة قطعيَّة على صدورها.

ومن هنا يخلص إلى تلك النتيجة التي يبتغيها في تأكيد فضل التربة الحسينيّة وشرفها، فتعاضد الروايات " ألا يدلّ على مدى الاهتمام؟ ألا يدلّ على عظيم فضلها؟ ألا يدلُّ على شرف تربتها؟ وهي الوحيدة التي جاء فيها ما ذكرناه، ولم تحضَ تربة أخرى بمثل تلك الخاصّة مهما بلغت قدسًا وطهارة"[١٠٩].

ومن هنا وجد فقهاء الشيعة الإماميَّة أنفسهم أمام هذا التراث الهائل من الأحاديث والروايات التي تتحدّث عن التربة الحسينيّة وفضلها، وما فيها من أسرار أودعها الله تعالى فيها، ويكفيها فخرًا أنَّها امتزجت بدماء سبط النبيّ ﷺ، وضمّت جسده الطاهر، وهي محل احتفاء وكرامة عند الله تعالى؛ إذ بدلالة نقل بعضها إلى النبيّ ﷺ، وقدرتها على التفاعل مع الحادثة الأليمة.

فالسجود عليها لله تعالى ممّا يحكم به العقل؛ فاختيار الأفضل لأداء عمود الدِّين، وأشرف العبادات ممَّا لا نزاع فيه؛ فـ" التربة الحسينيّة هي من الأرض مع مزيّة فضل كما مرَّ بيان ذلك مكرّرًا ومفصّلًا، وإنَّما ورد النَدْب والاستحباب في السجود عليها؛ لما لها من فضيلة الانتساب ممَّا يزيد في الأجر والثواب"[١١٠].

١٠٧ الطبراني، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الكبير، تحقيق. حمدي عبد المجيد، ط٢ (دار إحياء التراث العربي، د.ت.)، ٣/ ١٠٨.

١٠٨ الخرسان، السجود على التربة الحسينيّة، ٣٠٣.

١٠٩ الخرسان، ٣٢٤.

١١٠ الخرسان، ٣٥٤.

الخاتمة:

بعد رحلة البحث مع التقنيّات الحجاجيَّة لدى السيد الخرسان في كتابه السجود على التربة الحسينيّة، ومحاججته لمن لا يجد مشروعيّة في السجود عليها أخرج بجملة من النتائج:

١-ينبغي إعادة النظر في بعض تعريفات الحجاج، وعدم ترديد ما يُنقل من الثقافات الأخر وأخذه أخذ المسلّمات.

٢-اتّبع السيد الخرسان منهجًا تجزيئيًّا في عمليّة محاججة الآخرين؛ فهو يحاجج الجميع في جميع التفاصيل، ويعود بالأمور إلى مصادر التشريع لاستقرائها، وبيان الرأي الحقيقيّ.

٣-اعتمد السيّد الخرسان في حججه النقليّة مصادر العامّة؛ لما لها من أثر في إقناع الطرف الآخر؛ لأنَّه يعتقد صحّتها، ومن ثمّ يجب عليه الإذعان لها، والالتزام بما تمليه على أتباعها.

٤-إنَّ مكمن الخلاف قائم على تعدّد القراءات، وزوايا التناول، ومن ثمَّ تتباين الأفهام، فينشأ الاختلاف في الأداء للشعائر والطقوس وهذا لا يدعو إلى التنافر والتنابز والتكفير واللعن.

٥-استعمل السيّد الخرسان الحجاج بوصفه وسيلة لا عنفيّة مقابل العنف القولي وما يترتّب عليه من عنف فعليّ يستغلّه المتطرّفون.

٦-إنَّ الاختلاف ناشئ من الاتكاء على إرث حديثيّ روائيّ، وليس منشأه العناد والتزمّت والتمسّك بالرأي من دون دليل شرعيّ.

٧- تنقّل السيّد الخرسان بين المقدّمات والتقنيَّات الحجاجيَّة بما يناسب المقال والمقام، وفي أحيان كثيرة تتسلسل الحجج وتترابط بين وظيفتين ؛ حجّة ونتيجة، ومن ثمَّ تكون النتيجة حجّة لنتيجة أخرى، فتنبني الحجج هرميًّا.

المصادر:

القرآن الكريم

أبو شيبة، الحافظ أبي بكر عبد الرزاق. المصنّف. تحقيق أبي أسامة بن إبراهيم مُحَمَّد. د.ط. دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، د.ت.

الآداب، فريق البحث في البلاغة والحجاج في جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانيّة في كليّة. أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم. إشراف حمادي صعود. تونس، د.ت.

الأفريقي، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور. لسان العرب. ط١. بيروت: دار صادر، د.ت.

الأميني، عبد الحسين. السجود على التربة الحسينيّة عند الشيعة الإماميّة. د.ط. أصفهان: دار المحجّة البيضاء، ١٣٩٠.

الأنصاري، جمال الدين ابن هشام. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق مازن المبارك، و مُحَمَّد علي حمدالله. ط١. دمشق: دار الفكر، ١٩٦٤.

البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل. الأدب المفرد. تحقيق مُحَمَّد ناصر الدين الألباني. ط٤. دار الصديق للنشر والتوزيع، ١٩٩٧.

الترمذي، الحافظ أبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى. سنن الترمذي. تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. ط٢. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٣.

الجعفي، أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري. صحيح البخاري. د.ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١.

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد. معجم الصحاح. رتبه وصحّحه إبراهيم شمس الدين. ط١. شركة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٠.

الحلبي، علي بن أحمد. السيرة الحلبيّة إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٧.

الخرسان، مُحَمَّد مهدي. السجود على التربة الحسينيّة. ط١. مكتبة الروضة الحسينيّة، ٢٠٠٥.

الذريدي، سامية. الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه. ط١. الأردن: عالم الكتب الحديث، ٢٠١١.

الرماني، أبي الحسن علي بن عيسى. معاني الحروف. تحقيق الشيخ عرفان بن سليم العشا حسونة الدمشقي. د.ط. بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

الزماني، كمال. "الحجاج في البلاغة الجديدة من خلال كتاب (مصنف الحجاج) لبيرلمان وتيتكا." مجلّة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية المجلد٢، العدد١١. (٢٠٢٠).

السبحاني، جعفر. أصول الفقه المقارن فيما لا نصّ فيه. ط١. قم: مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٢٥.

السبكي، محمود مُحَمَّد خطاب. الدين الخالص أو إرشاد الخلق إلى دين الحق. صححه أمين محمود خطاب. ط٤. حقوق الطبع محفوظة له، ١٩٧٧.

السمهودي، علي بن عبد الله الحسيني الشافعي. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩.

الشبعان، علي. الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في نماذج ممثّلة من تفسير سورة البقرة (بحث في الأشكال والاستراتيجيات). ط١. بيروت: دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ٢٠١٠.

الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغوية تداولية. ط١. ليبيا: دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠٠٤.

الشيخ كبير. "الحجاج مفهومه وأثره في صياغة القول وإعادة إنتاجه- مناظرات الشيخ أحمد ديدات لقسيسي النصارى أنموذجًا." مجلّة جيل الدراسات الأدبيّة والفكرية، العدد٦٠. (٢٠٢٠).

الصدوق. إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الرجعة. د.ط. النجف: المطبعة الحيدريّة، ١٩٧٠.

الصدوق . معاني الأخبار. تحقيق علي أكبر الغفاري. د.ط. قم المقدسة: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ١٣٣٨.

الصدوق . من لا يحضره الفقيه. تصحيح علي أكبر الغفاري. ط٢. قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، د.ت.

الطبراني، الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد. المعجم الكبير. تحقيق حمدي عبد المجيد. ط٢. دار إحياء التراث العربي، د.ت.

الطريحي، فخر الدين. مجمع البحرين. تحقيق أحمد الحسيني. ط١. الأميرة للطباعة والنشر، ٢٠١٠.

الطوسي. الأمالي. ط١. قم المقدسة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤.

الطوسي، أبي جعفر مُحَمَّد بن الحسن. تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد. تحقيق حسن الموسوي الخرسان. ط٣. طهران: دار الكتب الإسلاميّة، ١٣٦٤.

العاملي، الحر. وسائل الشيعة. تحقيق عبد الرحيم الربّاني الشيرازي. ط٥. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٣.

العزاوي، أبوبكر. اللغة والحجاج. ط١. الدار البيضاء – المغرب: العمدة في الطبع، ٢٠٠٦.

العسقلاني، ابن حجر. فتح الباري. ط٢. بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، د.ت.

العصيلي، عبد العزيز. "النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة." مجلّة جامعة الإمام، العدد٢٢. (١٤١٩).

الفيروزآبادي، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب. القاموس المحيط. علّق أبو الوفا نصر الهوريني و أحمد باشا تيمور. ط١. دار الغد الجديد، ٢٠١٤.

القزويني، الحافظ أبي عبد الله مُحَمَّد بن يزيد. سنن ابن ماجة. تحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. د.ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

المظفّر، مُحَمَّد رضا. المنطق. د.ط. دار التعارف للمطبوعات، ٢٠٠٦.

الناجح، عز الدين. العوامل الحجاجية في اللغة العربية. ط١. صفاقس، تونس: مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

الناجح، عزّ الدِّين. العوامل الحجاجيّة في اللغة العربية. ط١. تونس: ، مكتبة علاء الدين للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج. صحيح مسلم. د.ط. بيروت: دار الفكر، د.ت.

النيسابوري، الحافظ أبي عبد الله الحاكم. المستدرك على الصحيحين. إشراف يوسف عبد الرحمن المرعشلي. د.ط. بيروت: دار المعرفة، د.ت.

بلانتان، كريستيان. الحجاج. ترجمة عبد القادر المهيري. د.ط. تونس: دار سينترا، ٢٠١٠.

حزم، ابن. المحلّى. د.ط. بيروت: دار الفكر، د.ت.

حسن، مُحَمَّد. الذريعة إلى تصانيف الشيعة. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٣٠.

خضر، حيدر. "مفهوم التقنية ودلالة المصطلح ومعانيه واستخدامه." مجلّة الاستغراب، العدد١٥. (٢٠١٩).

شارودو، باتريك. الحجاج بين النظرية والأسلوب "عن كتاب نحو المعنى والمبنى." ترجمة أحمد الودرني. ط١. بنغازي: دار الكتاب الجديد المتّحدة، ٢٠٠٩.

صولة، عبد الله. الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة. ط١. بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠١.

صولة، عبد الله. في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات. ط١. تونس: مسكيلياني للنشر والتوزيع، ٢٠١١.

طروس، مُحَمَّد. النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغيّة والمنطقيّة واللسانيّة. ط١. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

طه، عبدالرحمن. التواصل والحجاج. د.ط. الرباط: مطبعة المعارف، سلسلة الدروس الافتتاحيّة، الدرس العاشر، د.ت.

عبدالرحمن، طه. اللسان والميزان أو التكوثر العقلي. ط١. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨.

عبدالرحمن، طه. في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. ط٢. المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠.

مُحَمَّد، محمود حمزة. "تقنيات الحجاج في كتاب ' حوار مع صديقي الملحد للدكتور مصطفى محمود.'" مجلّة كليّة الآداب للغويّات والثقافة المقارنة المجلد١٢، العدد٢. . (٢٠٢٠)